

إِنَّ اللَّهَ لَيُعْجَبُ (العَجَبُ) ٣٧٣

ما الذي يُعْجِبُ الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؟

التعجب والعجب: صفتان من صفات الله عزَّ وجلَّ الفعلية الخبرية الثابتة بالكتاب والسنة.

الدليل من الكتاب:

١. قوله تعالى: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} [الصافات: ١٢]، قال ابن جرير: "قوله: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ؛ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة: بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ؛ بضم التاء من عَجِبْتُ؛ بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكاً وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة عَجِبْتُ؛ بفتح التاء؛ بمعنى: بل عجب أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنيهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ؛ فصيبي. فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنيهما؟! قيل: إنيهما وإن اختلف معنيهما؛ فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد ما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون ما قالوه" ٣٧٤، وقال أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة: "قرأ حمزة والكسائي: بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ؛ بضم

٣٧٣ في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإن ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبهه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل ثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه. {انظر: [الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢]}.

٣٧٤ جامع البيان في تأويل القرآن.

التاء، وقرأ الباقون بفتح التاء..."، ثم قال: "قال أبو عبيد: قوله: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ؛ بالنصب: بل عَجِبْتَ يا محمد من جهلهم وتكذيبهم وهم يسخرون منك، ومن قرأ: عَجِبْتُ؛ فهو إخبار عن الله عزَّ وجلَّ" ^{٣٧٥}، وقد صحت القراءة بالضم عن ابن مسعود رضي الله عنه كما سيأتي.

٢. وقوله سبحانه وتعالى: {وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أُنْتَأَ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [الرعد: ٥]، نقل ابن جرير هذه الآية بإسناده إلى قتادة قوله: "قوله: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ: إن عَجِبْتَ يا محمد؛ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أُنْتَأَ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ: عَجِبَ الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت" ^{٣٧٦}، قال ابن زنجلة بعد ذكر قراءة بَلْ عَجِبْتُ بالضم: "قال أبو عبيد: والشاهد لها مع هذه الأخبار قوله تعالى: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ، فأخبر جل جلاله أنه عجيب" ^{٣٧٧}.

الدليل من السنة:

١. حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ"، وفي رواية بلفظ: "قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكَا بِضَيْفِكَ اللَّيْلَةَ" ^{٣٧٨}.

٣٧٥ حجة القراءات؛ ص ٦٠٦.

٣٧٦ جامع البيان في تأويل القرآن.

٣٧٧ حجة القراءات: ص ٦٠٧.

٣٧٨ حديث صحيح: متفق عليه؛ أخرجه الإمام البخاري ٤٨٨٩، بلفظ: "عن أبي هريرة رضي الله عنه: أْتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي الْجُهْدُ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيِّفِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَدْخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوْتُ الصَّبِيَّةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَّةُ الْعِشَاءَ فَتَوَمِّمِيهِمْ، وَتَعَالَي فَاطْطِفِي التِّرَاجَ وَنَطْوِي بَطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ١٧٢ - ٢٠٥٤، بلفظ: "جاء رجلٌ إلى رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم، فقال: إني مجْهُودٌ، فأرْسَلَ

إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: مَنْ يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَجُلَهُ اللَّهُ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوْتُ صِيبَانِي، قَالَ: فَعَلَلِيهِمْ بَشِيءً، فَإِذَا دَخَلَ صَنِيفُنَا فَأُطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَفَعَدُوا وَأَكَلَ الصَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمْ بِضَيْفِكُمُ اللَّيْلَةَ، وَأَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ ٣٧٩٨، بلفظ: "أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يَضُمُّ -أَوْ يُضَيِّفُ- هَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي صَنِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوْتُ صِيبَانِي، فَقَالَ: هَيَّئِي طَعَامَكَ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ، وَتَوَمِّي صِيبَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأْتُ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحْتُ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمْتُ صِيبَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّمَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأُطْفَأَتْ، فَجَعَلَ يُرِيَانَهُ أَتَمُّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِئِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ -أَوْ عَجِبَ- مِنْ فَعَالِكُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]."

إِنَّ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمَعَانِي النَّبِيلَةِ، وَالصِّفَاتِ الْأَصِيلَةِ الَّتِي حَثَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ، وَسَطَرَهَا الصَّحَابَةُ الْكَرَامُ؛ خُلِقَ الْإِنْسَانُ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَحْكِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَتَى رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَزَلَ ضَيْفًا عَلَيْهِ يَشْكُو حَالَهُ وَحَاجَتَهُ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نِسَائِهِ وَاحِدَةً تَلُو الْأُخْرَى: هَلْ عِنْدَهَا شَيْءٌ؟ فَكَانَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَقُولُ: «مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ»، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُنَّ طَعَامٌ يُضَيِّفُونَ بِهِ الصَّيْفَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَحَابَتِهِ الْكَرَامِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ: «مَنْ يَضُمُّ -أَوْ يُضَيِّفُ- هَذَا» فَيَأْخُذُهُ، وَيُطْعِمُهُ، وَيُكْرِمُهُ فِي بَيْتِهِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ -قِيلَ: هُوَ أَبُو طَلْحَةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقِيلَ: أَبُو طَلْحَةَ غَيْرُ زَيْدِ بْنِ سَهْلٍ-: «أَنَا»، ثُمَّ أَخَذَ الصَّيْفَ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى بَيْتِهِ، وَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَكْرَمِي صَنِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِبَيَانِ قَدْرِهِ وَمَنْزِلَتِهِ، وَشَحْذِ هِمَّةِ زَوْجَتِهِ فِي التَّكْلِيفِ لَهُ وَإِطْعَامِهِ، فَقَالَتْ: «مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوْتُ صِيبَانِي»، أَيِ: لَيْسَ عِنْدَهُمْ إِلَّا عَشَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّذِي يَكْفِي أَطْفَالَهُمْ فَقَطْ، فَقَالَ لَهَا: «هَيَّئِي طَعَامَكَ»، أَيِ: أَعِدِّيهِ عَلَى الْهَيْئَةِ الَّتِي سَتَقْدَمُ لِلصَّيْفِ، «وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ»، أَيِ: أَوْقِدِيهِ أَوْ نَوِّرِيهِ، «وَتَوَمِّي صِيبَانِكَ»، أَيِ: جَحِّلِي بَنُوْمَهُمْ حَتَّى لَا يُدْرِكَهُمُ الْجَوْعُ، وَطَلَبُ الطَّعَامِ، فَأُطَاعَتِ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَعَدَّتْهُ لِلصَّيْفِ، وَأَضَاءَتْ الْمِصْبَاحَ، وَنَوَّمَتْ صِيبَانَهَا الصَّغَارَ بِغَيْرِ عَشَاءٍ، ثُمَّ قَدَّمَتِ الطَّعَامَ لِلصَّيْفِ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّمَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأُطْفَأَتْ عَنْ قَصْدٍ فَأُطْلِمَتِ الْبَيْتَ، فَجَعَلَ يَتَظَاهَرَانِ أَتَمُّهُمَا يَأْكُلَانِ بِتَخْرِيكِ أَسْنَانِهِمَا، وَمَدِّ أَيْدِيهِمَا؛

٢. حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ" ٣٧٩.

٣. عن أبي وائل شقيق بن سلمة؛ قال: "قرأ عبد الله (يعني: ابن مسعود) رضي الله عنه: بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ؛ قال شريح: إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْجِبُ مِنْ شَيْءٍ، إِنَّمَا يَعْجِبُ مَنْ لَا

حَتَّى يَأْكُلَ الضَّيْفُ مِنَ الطَّعَامِ حَاجَتَهُ، وَحَتَّى لَا يَشْعُرَ أَيْضًا بِقِلَّةِ الطَّعَامِ، فَبَاتَا الزَّوْجَانِ «طَاوِيَيْنِ»، أَي: جَائِعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عَشَاءٍ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ الْأَنْصَارِيُّ «غَدَا»، أَي: ذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ - أَوْ عَجِبَ - مِنْ فِعَالِكَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]، وَالْمَعْنَى: أَنَّ مِنْ أَوْصَافِ الْأَنْصَارِ الَّتِي فَاقُوا بِهَا غَيْرَهُمْ، وَتَمَيَّزُوا بِهَا عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ؛ خُلِقَ الْإِثَارُ، وَهُوَ أَكْمَلُ أَنْوَاعِ الْجُودِ، وَهُوَ الْإِثَارُ بِمَحَابِ النَّفْسِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا، وَبَذَلُهَا لِلْغَيْرِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، بَلْ مَعَ الضَّرُورَةِ وَالْخِصَاصَةِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ خُلُقٍ زَكِيٍّ، وَحُبَّةٍ لِلَّهِ تَعَالَى مُقَدِّمَةٍ عَلَى حُبَّةِ شَهَوَاتِ النَّفْسِ وَلَذَائِهَا، وَمَنْ رَزَقَ الْإِثَارَ فَقَدْ وَفَّى شُحَّ نَفْسِهِ، وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ الْفَلَاحُ وَالْفَوْزُ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. {وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ حَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ شَطَفِ الْعَيْشِ، وَقِلَّةِ ذَاتِ الْيَدِ. وَفِيهِ: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَسْأَلَةِ الْمَذْمُومَةِ عَرَضُ الصِّيَافَةِ عَلَى النَّاسِ. وَفِيهِ: أَنَّ مِنْ أَدَبِ الصِّيَافَةِ أَلَّا يُرَى الرَّجُلُ ضَيْفَهُ أَنَّهُ مَأْنٍ عَلَيْهِ، أَوْ أَنَّ الضَّيْفَ مُضَيِّقٌ عَلَيْهِ، وَمُحَرِّجٌ لَهُ. وَفِيهِ: مَنْقَبَةٌ لِهَذَا الرَّجُلِ الْأَنْصَارِيِّ وَإِثَارُهُ الْعَظِيمُ. وَفِيهِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الصَّحَّاحِ وَالتَّعَجُّبِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَأَلِهِ، مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ}.

٣٧٩ حديث صحيح: صحيح البخاري ٣٠١٠.

تَفَضَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَطَاءِ، وَقَدْ تَكَفَّلَ لِمَنْ دَخَلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَخْلَصَ فِي إِيْمَانِهِ، وَأَطَاعَ رَبَّهُ؛ بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنَّ مَنْ النَّاسِ مَنْ يَرْفُضُ الْإِسْلَامَ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِيهِ اضْطِرَّارًا، وَلَكِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَحْسُنُ إِسْلَامَهُ، فَيَنَالُ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ، وَيَدْخُلُ جَنَّتَهُ فِي الْآخِرَةِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَأَنَّ اللَّهَ يَعْجِبُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أُسِرُوا وَقِيدُوا، فَلَمَّا عَرَفُوا صِحَّةَ الْإِسْلَامِ دَخَلُوا طَوْعًا فِيهِ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى: يُقَادُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ مُكْرَهِينَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْمُسْلِمِينَ الْمَأْسُورِينَ عِنْدَ أَهْلِ الْكُفْرِ، يَمُوتُونَ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ يُقْتَلُونَ فَيَحْشَرُونَ كَذَلِكَ، وَعَبَّرَ عَنِ الْحَشْرِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ؛ لِثُبُوتِ دُخُولِهِمْ عَقِبَهُ. {وَفِي الْحَدِيثِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْعَجَبِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ عَجَبٌ يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَنُثْبِتُهُ لَهُ كَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلَا تَحْرِيفٍ أَوْ تَكْيِيفٍ، أَوْ تَشْبِيهِ أَوْ تَعْطِيلٍ}.

يعلم. قال الأعمش: فذكرت لإبراهيم، فقال: إِنَّ شَرِيحاً كَانَ يَعْجِبُهُ رَأْيُهُ، إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ أَعْلَمَ مِنْ شَرِيحٍ، وَكَانَ عَبْدَ اللَّهِ يَقْرَأُهَا: بَلْ عَجِبْتُ" ^{٣٨٠}، قال أبو يعلى الفراء رحمه الله تحت باب "إثبات صفة العجب لربنا تبارك وتعالى"، بعد أن ذكر ثلاثة أحاديث في إثبات صفة العجب: "اعلم أَنَّ الكلام في هذا الحديث (يعني: الثالث) كاللّام في الذي قبله، وأنه لا يمتنع إطلاق ذلك عليه وحمله على ظاهره؛ إذ ليس في ذلك ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأنّا لا نثبت عَجَباً هو تعظيم لأمر دَهَمَهُ استعظمه لم يكن عالماً به؛ لأنّه ما لا يليق بصفاته، بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته" ^{٣٨١}، وقال الإمام قَوَّامُ السُّنَّةِ أبو القاسم الأصبهاني: "وقال قوم: لا يوصف الله بأنه يَعْجَبُ؛ لأنّ العَجَبَ مَمَّنْ يعلم ما لم يكن يعلم، واحتج مثبت هذه الصفة بالحديث، وبقراءة أهل الكوفة: بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ؛ على أنّه إخبار من الله عزَّ وجلَّ عن نفسه" ^{٣٨٢}، وقال ابن أبي عاصم: "باب: في تَعَجُّبِ ربنا من بعض ما يصنع عباده ما يتقرب به إليه" ^{٣٨٣}، ثم سرد جملة من الأحاديث التي تثبت هذه الصفة لله عزَّ وجلَّ، وممن أثبت صفة العجب لله عزَّ وجلَّ شيخ الإسلام ابن تيمية ^{٣٨٤} في العقيدة الواسطية، وشرح ذلك الهراس بقوله: "قوله: (عَجِبَ رَبُّنَا...) إلخ؛ هذا الحديث يثبت لله عزَّ وجلَّ صفة العجب، وفي معناه قوله عليه الصلاة والسلام: (عجب ربك من شاب ليس له صبوة)" ^{٣٨٥}، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

٣٨٠ رواه الحاكم ٤٦٦/٢، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ٤١٥/٢. قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه. وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالضم ثابتة في "صحيح البخاري" ٤٦٩٢؛ بدون كلام شريح.

٣٨١ إبطال التأويلات: ص ٢٤٥.

٣٨٢ "الحجة في بيان المحجة" ٤٩٠/٢.

٣٨٣ السنة: ٢٤٩/١.

٣٨٤ انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/١٨١، ٦/١٢٤ و١٢٤).

٣٨٥ شرح الواسطية: ص ٢٠٢.

"وأما قوله: (التعجب استعظام للمتعجب منه)، فيقال: نعم؛ وقد يكون مقرونا بجهل بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره. والله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه؛ بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيما له. والله تعالى يعظم ما هو عظيم؛ إما لعظمة سببه، أو لعظمته. فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم، ووصف بعض الشر بأنه عظيم. ولهذا قال تعالى: {بل عجبْتُ ويسخرون} على قراءة الضم، فهذا هو عَجَبٌ من كفرهم مع وضوح الأدلة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم للذي آثر هو وامراته ضيفهما: (لقد عجب الله)، وفي لفظ في الصحيح: (لقد ضحك الله الليلة من صنعكما البارحة)" ٣٨٦.

والعَجَبُ نوعان:

- الأول: عَجَبٌ ناشئ عن جهل: وهو عَجَبُ الذهول عن السبب؛ لجهله وخفاء السبب على المتعجب، كأن يأتيه الأمر بغتة، ولم يتوقع حصول أمرٍ ما تعجب منه، وهذا النوع مستحيلٌ على الله تعالى لأنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليم.
- الثاني: عَجَبٌ ناشئ عن علم: فالمتعجب لم يخفَ عليه الأمر والسبب؛ ولكن لأنَّ هذا الأمر خرج عن نظائره تعجب منه، فسبب التعجب هو أنَّ المتعجب منه جاء على خلاف المَعهود، لا عن جهل، وهذا النوع هو المراد في صفة التعجب لله جلَّ وعلا.

والله سبحانه وتعالى عَزَّ وَجَلَّ يَعْجَبُ متى شاء وليس لذلك حصر، فتعالى وتبارك الله سبحانه عَزَّ وَجَلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، وقد وردت أدلة من الكتاب والسنة الصحيحة تدل على

بعض هذه الأسباب والأعمال والمواطن الجالبة لتعجب ونجيب الله سبحانه وتعالى عز وجل؛ ومن ذلك:

١. المَوْطِنُ الْأَوَّلُ: "تَعَجُّبُ اللَّهِ سبحانه وتعالى عز وجل، مع كمال علمه سبحانه وتعالى، من كفر إنسان وصبر الله سبحانه وتعالى عليه، فهذا الإنسان يستحق أن يعاقب عقوبة شديدة، ولكن الله سبحانه وتعالى يعجب وهو أعلم سبحانه وتعالى، أن هذا مصير هذا الإنسان إلى النار، فيعجب سبحانه ما يصنعه هذا الإنسان" ^{٣٨٧}، وأمثاله من الكفار والمشركين:

• قال الله سبحانه وتعالى عز وجل عن الكفار والمشركين: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} [الصافات: ١٢]، ما تقوله لهم، وتذكرهم به. والآية: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ}، فيها قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ^{٣٨٨}:

- قراءة الجمهور: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ}؛ قال السعدي: "بَلْ عَجِبْتَ يا أيها الرسول وأيها الإنسان، من تكذيب من كذب بالبعث، بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة، وهو حقيقة محل عجب واستغراب، لأنه ما لا يقبل الإنكار، {و} أعجب من إنكارهم وأبلغ منه، أنهم {يَسْخَرُونَ} ممن

٣٨٧ تفسير أحمد حطية؛ سورة الصافات: ١٢، {بتصرف}.

٣٨٨ قال ابن جرير الطبري رحمه الله: قوله: "بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ" اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} بضم التاء من {عَجِبْتَ}، بمعنى: بل عظم عندي، وكبر اتخاذهم لي شريكاً، وتكذيبهم تزييلي، وهم يسخرون، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة، والبصرة، وبعض قراء الكوفة {عَجِبْتَ} بفتح التاء، بمعنى: بل عجب أنت يا محمد، ويسخرون من هذا القرآن. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ: فمصيب. فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟! قيل: إنهما وإن اختلف معنيهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد ما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون ما قالوه" [تفسير الطبري؛ ٢١ / ٢٢، ٢٣].

جاء بالخبر عن البعث، فلم يكفهم مجرد الإنكار، حتى زادوا السخرية بالقول الحق".

- الضَّمُّ ٣٨٩: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} ٣٩٠؛ وعليه يكون المعنى: بَلَغَ مِنْ عَظَمِ آيَاتِي أَنِّي عَجِبْتُ مِنْهَا، أَي: استعظمتُها ومع ذلك يسخرُ منها هؤلاء لفِرْطِ جَهْلِهِمْ وعنادِهِمْ. وكيف يسخرون مع قرب عذابهم الذي يأتيهم من الله سبحانه.

٣٨٩ قراءة حمزة والكسائي وخلف.

٣٩٠ عن شقيق بن سلمة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: {هَيْتَ لَكَ} [يوسف: ٢٣]. قَالَ: وَإِنَّمَا نَقَرُوهَا كَمَا عَلَّمَنَاهَا.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} [الصافات: ١٢] [حديث صحيح: صحيح البخاري ٤٦٩٢].
يَسَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حِفْظُ كِتَابِهِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَأَثَرُهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ تَيْسِيرًا وَتَخْفِيفًا، وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ، فَتَقَلَّ كُلُّ مِنْهُمْ مَا تَعَلَّمَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَأَ بِهِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُومُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِوُضُوفَةِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبَيَانِ وَتَبْلِيغِ الْعِلْمِ، وَيَذْكُرُ فِيهِ قِرَاءَتَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {هَيْتَ لَكَ} [يوسف: ٢٣]، فَقَرَأَهَا بِفَتْحِ الْهَاءِ وَالتَّاءِ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ قَرَأَهَا بِكَسْرِ الْهَاءِ وَبِضْمِ التَّاءِ، وَبَعْدَ أَنْ قَرَأَهَا هَكَذَا ذَكَرَ لَهُ أَنَّ نَاسًا يَقْرَءُونَهَا (هَيْتَ لَكَ) بِالْكَسْرِ، كَمَا فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ، فَقَالَ: وَإِنَّمَا نَقَرُوهَا كَمَا عَلَّمَنَاهَا، وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْمُتَقَدِّمَةِ، قَالَ: «إِنِّي أَنْ أَقْرَأَهَا كَمَا عَلَّمْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ»، إِشَارَةً مِنْهُ إِلَى أَنَّهُ تَلَقَّاها مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا، وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ يُبَيِّنُ تَمَسُّكَهُ بِمَا صَحَّ عَنْدهُ وَمَا تَعَلَّمَهُ مُبَاشَرَةً مِنْ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ رَدًّا لِلْقِرَاءَاتِ الْأُخْرَى، وَقَدْ عُرِفَتْ رِوَايَاتُ الْقُرْآنِ كُلِّهَا، وَخَدَّدَ الْمُتَوَاتِرُ مِنْهَا الَّذِي تَصَحُّحُ الْقِرَاءَةِ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَالْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ لَا مَجَالَ لِلْاجْتِهَادِ فِيهَا. وَهَذَا الْمَوْضِعُ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ قِرَاءَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعْنَاهُ: هَأُتَى، أَوْ تَعَالَى، أَي: هَا أَنَا إِذَا مُهِينَةً لَكَ، فَاسْرِعْ فِي الْإِقْبَالِ عَلَيَّ، وَجَاءَ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: «قَدْ تَسَمَّعْتُ الْقُرَّاءَ فَسَمِعْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ، فَاقْرَءُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ، وَإِتَّامُ وَالتَّنَطُّعُ وَالْاِخْتِلَافُ». وَمُنَاسَبَةُ ذِكْرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} [الصافات: ١٢] هُنَا، قِيلَ: هُوَ لَبِيَانُ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْرَأُ التَّاءَ فِي {هَيْتَ} كَمَا يَقْرَءُهَا فِي {عَجِبْتَ}، وَفِي تَاءِ {عَجِبْتَ} قِرَاءَتَانِ: الضَّمُّ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْمَعْنَى: بَلَغَ مِنْ عَظَمِ آيَاتِي أَنِّي عَجِبْتُ مِنْهَا، أَي: استعظمتُها ومع ذلك يسخرُ منها هؤلاء لفِرْطِ جَهْلِهِمْ وعنادِهِمْ. وَالفَتْحُ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْمَعْنَى: هُوَ خِطَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَي: عَجِبْتَ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ وَهُمْ يَسْخَرُونَ مِنْ تَعْجُيبِكَ، أَوْ عَجِبْتَ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ بِالْبَعْثِ وَهُمْ يَسْخَرُونَ مِنْ أَمْرِهِ. {وَفِي الْحَدِيثِ: جَانِبٌ مِنْ عِلْمِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ. وَفِيهِ: أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ إِنَّمَا تَكُونُ بِالتَّلْقِي لَا بِالْاجْتِهَادِ}.

• قال الله سبحانه وتعالى عز وجل: {وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [الرعد: ٥]، نقل ابن جرير الطبري في تفسيره هذه الآية بإسناده إلى قتادة قوله: "قوله: وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ: إن عَجِبْتَ يا محمد؛ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ: عَجِبَ الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت" ^{٣٩١}، قال ابن زنجلة بعد ذكر قراءة بَلْ عَجِبْتُ بالضم: "قال أبو عبيد: والشاهد لها مع هذه الأخبار قوله تعالى: وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ، فأخبر جل جلاله أنه عجيب" ^{٣٩٢}.

٢. المَوْطِنُ الثَّانِي: "تَعَجَّبَ اللَّهُ سبحانه وتعالى عز وجل، مع كمال علمه سبحانه وتعالى، من إنسان يفعل صنيعاً وشيئاً طيباً وهو إنسان؛ والعجب هنا: عَجِبُ استحسان، لما يشتمل عليه هذا الصنيع من الفوائد العظيمة":

- الإِثَار: {الإِثَار: أَنْ تُقَدِّمَ الْغَيْرَ عَلَى نَفْسِكَ؛ أَنْتَ مُحْتَاجٌ!، وَالْغَيْرَ مُحْتَاجٌ!، فَتَقْدِمُ حَاجَةَ الْآخِرِ عَلَى حَاجَةِ نَفْسِكَ!}: "وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ؛ فَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ"، وَفِي رِوَايَةٍ بَلْفَظٍ: "قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكَ بِضَيْفِكَ" ^{٣٩٣}، قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعَثِيمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالْعَجَبُ هُنَا: عَجِبُ

٣٩١ جامع البيان في تأويل القرآن.

٣٩٢ حجة القراءات: ص ٦٠٧.

٣٩٣ حديث صحيح: متفق عليه؛ انظر الهامش رقم ٣٧٨ ص ٢٤٧.

إِنَّ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمَعَانِي النَّبِيلَةِ، وَالصِّفَاتِ الْأَصِيلَةِ الَّتِي حَثَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ، وَسَطَرَهَا الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ؛ خُلِقَ الْإِنْسَانُ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَحْكِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أُمَّ رَجُلٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَزَلَ ضَيْفًا عَلَيْهِ يَشْكُو حَالَهُ وَحَاجَتَهُ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نِسَائِهِ وَاحِدَةً تَلُو الْأُخْرَى: هَلْ عِنْدَهَا شَيْءٌ؟ فَكَانَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَقُولُ: «مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ»، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُنَّ طَعَامٌ يُضَيِّفُونَ بِهِ الضَّيْفَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَحَابَتِهِ الْكِرَامِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ: «مَنْ يَضُمَّ -

استحسان، استحسَنَ عَزَّ وَجَلَّ صَنِيعَهُمَا مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، لِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ
الفوائد العظيمة" ٣٩٤.

- قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ {هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أُسِرُوا وَقُتِدُوا، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي
دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ}؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَوْ يُضَيَّفُ- هَذَا» فَيَأْخُذُهُ، وَيُطْعِمُهُ، وَيُكْرِمُهُ فِي بَيْتِهِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ- قِيلَ: هُوَ أَبُو طَلْحَةَ زَيْدُ بْنُ
سَهْلٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقِيلَ: أَبُو طَلْحَةَ غَيْرُ زَيْدِ بْنِ سَهْلٍ:- «أَنَا»، ثُمَّ أَخَذَ الضَّيْفَ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى
بَيْتِهِ، وَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ؛ لِبَيَانِ قَدْرِهِ وَمَنْزِلَتِهِ، وَشَحْذِ هِمَّةِ زَوْجَتِهِ فِي التَّكَلُّفِ لَهُ وَإِطْعَامِهِ، فَقَالَتْ: «مَا عِنْدَنَا إِلَّا قَوْتُ صِيبَانِي»،
أَي: لَيْسَ عِنْدَهُمْ إِلَّا عَشَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّذِي يَكْفِي أَطْفَالَهُمْ فَقَطْ، فَقَالَ لَهَا: «هَيَّيْ طَعَامَكَ»، أَي: أَعِدِّيهِ عَلَى
الْهَيْئَةِ الَّتِي سَتَقْدَمُ لِلضَّيْفِ، «وَأَصْبِحِي سَرَّاجَكَ»، أَي: أَوْقِدِيهِ أَوْ نَوِّرِيهِ، «وَنَوِّمِي صِيبَانَكَ»، أَي: عَجِّلِي
بَنَوْمِهِمْ حَتَّى لَا يَدْرِكَهُمُ الْجُوعُ، وَطَلَبُ الطَّعَامِ، فَأَطَاعَتِ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَعَدَّتْهُ لِلضَّيْفِ،
وَأَضَاءَتْ الْمِصْبَاحَ، وَنَوِّمَتْ صِيبَانَهَا الصِّغَارَ بِغَيْرِ عَشَاءٍ، ثُمَّ قَدَّمَتِ الطَّعَامَ لِلضَّيْفِ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ
سَرَّاجَهَا فَأُطْفِئَتْهُ عَنْ قَصْدٍ فَأُظْلِمَتِ الْبَيْتَ، فَجَعَلَا يَتَظَاهَرَانِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ بِتَحْرِيكِ أَسْنَانِهِمَا، وَمَدَّ أَيْدِيَهُمَا؛
حَتَّى يَأْكُلَ الضَّيْفُ مِنَ الطَّعَامِ حَاجَتَهُ، وَحَتَّى لَا يَشْعُرَ أَيْضًا بِقَلَّةِ الطَّعَامِ، فَبَاتَا الزَّوْجَانِ «طَاوِيَيْنِ»، أَي:
جَائِعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عَشَاءٍ، فَاتَّأَنَّ أَصْبَحَ الْأَنْصَارِيُّ «غَدًا»، أَي: ذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ- أَوْ عَجَبَ- مِنْ فِعَالِكُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]، وَالْمَعْنَى: أَنَّ مِنْ أَوْصَافِ الْأَنْصَارِ
الَّتِي فَاقُوا بِهَا غَيْرَهُمْ، وَتَمَيَّزُوا بِهَا عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ؛ خُلُقُ الْإِيثَارِ، وَهُوَ أَكْمَلُ أَنْوَاعِ الْجُودِ، وَهُوَ الْإِيثَارُ بِمَحَابِّ
النَّفْسِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا، وَبَذْلُهَا لِلغَيْرِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، بَلْ مَعَ الصَّرُورَةِ وَالْخِصَاصَةِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ
خُلُقٍ زَكِيٍّ، وَحُبَّةٍ لِلَّهِ تَعَالَى مُقَدِّمَةٍ عَلَى مَحَبَّةِ شَهَوَاتِ النَّفْسِ وَلَذَائِهَا، وَمَنْ رَزَقَ الْإِيثَارَ فَقَدْ وَقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ،
وَبَذَلِكَ يَحْصُلُ الْفَلَاحُ وَالْفَوْزُ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. {وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ حَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ شَطَفِ الْعَيْشِ، وَقَلَّةِ ذَاتِ الْيَدِ. وَفِيهِ: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَسْأَلَةِ الْمَذْمُومَةِ عَرَضُ الصِّيَافَةِ عَلَى
النَّاسِ. وَفِيهِ: أَنَّ مِنْ أَدَبِ الصِّيَافَةِ أَلَّا يُرَى الرَّجُلُ ضَيْفَهُ أَنَّهُ مَأْنٍ عَلَيْهِ، أَوْ أَنَّ الضَّيْفَ مُضَيَّقٌ عَلَيْهِ، وَمُحْرَجٌ
لَهُ. وَفِيهِ: مَنْقَبَةُ هَذَا الرَّجُلِ الْأَنْصَارِيِّ وَإِثَارُهُ الْعَظِيمُ. وَفِيهِ: إِبْتِاثُ صِفَةِ الضَّحِكِ وَالتَّعَجُّبِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَأَلِهِ، مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَحْرِيفٍ، وَلَا تَغْطِيلٍ}.

قَالَ: "عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ" ٣٩٥.

- شابٌ ليس له مِيلٌ إلى الهوى والمعصية؛ فعن عقبه بن عامر رضي الله عنه؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ رَبَّكَ لَيَعَجِبُ لِلشَّابِّ لَا صَبَوةَ لَهُ" ٣٩٦؛ شابٌ

٣٩٥ حديث صحيح: صحيح البخاري ٣٠١٠.

تَفَضَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَطَاءِ، وَقَدْ تَكَفَّلَ لِمَنْ دَخَلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَخْلَصَ فِي إِيْمَانِهِ، وَأَطَاعَ رَبَّهُ؛ بَأَن يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّ مَنْ التَّاسِ مَنْ يَرْفُضُ الْإِسْلَامَ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِيهِ اضْطِرَارًا، وَلَكِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَحْسُنُ إِسْلَامَهُ، فَيَنَالُ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ، وَيَدْخُلُ جَنَّتَهُ فِي الْآخِرَةِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَأَنَّهُ اللَّهُ يَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أُسْرُوا وَقُتِدُوا، فَاتَمَّ عَرَفُوا صِحَّةَ الْإِسْلَامِ دَخَلُوا طَوْعًا فِيهِ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى: يُقَادُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ مُكْرَهِينَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا فِي دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنَّ يَكُونَ الْمُرَادُ الْمُسْلِمِينَ الْمَأْسُورِينَ عِنْدَ أَهْلِ الْكُفْرِ، يَمُوتُونَ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ يُقَتَّلُونَ فَيُحْشَرُونَ كَذَلِكَ، وَعَبَّرَ عَنِ الْحَشْرِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ؛ لِثُبُوتِ دُخُولِهِمْ عَقِبَهُ. {وَفِي الْحَدِيثِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْعَجَبِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ عَجَبٌ يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَتُثْبِتُهُ لَهُ كَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلَا تَحْرِيفٍ أَوْ تَكْيِيفٍ، أَوْ تَشْبِيهِ أَوْ تَعْطِيلٍ}.

٣٩٦ إسناده جيد: أخرجه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٨٤٣؛ وقال عنه: إسناده جيد. وفي رواية: "إِنَّ اللَّهَ لَيَعَجِبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبَوةٌ" [حسن لغيره: أخرجه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند ١٧٣٧١؛ وقال عنه: حسن لغيره؛ أخرجه أحمد ١٧٣٧١ واللفظ له، والحاثر في "المسند" ١٠٩٩، وأبو يعلى ١٧٤٩].

مرحلة الشباب هي القوة والفتوة في الإنسان، وهي مَظَنَّةُ التَّهَوُّرِ وَالْإِنْعِمَاسِ فِي شَهَوَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَغَلَّبَ الشَّابُّ عَلَى شَهَوَاتِهِ، وَأَطَاعَ اللَّهَ، وَشَغَلَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ؛ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ الْإِيْمَانِ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَعَجِبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبَوةٌ»، أَي: لَيْسَ لَهُ مِيلٌ إِلَى الْهَوَى وَالْمَعْصِيَةِ؛ لِحُسْنِ اعْتِيَادِهِ لِلْخَيْرِ، وَقُوَّةِ عَزِيمَتِهِ فِي الْبُعْدِ عَنِ الشَّرِّ فِي حَالِ الشَّبَابِ الَّذِي هُوَ مَظَنَّةٌ لَصِدِّ ذَلِكَ. وَالْعَجَبُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ النَّاتِبَةِ لَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَنِ، وَهُوَ مِنَ اللَّهِ لَيْسَ كَالْتَعْجَبِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَمَزْدُودٌ هَذَا الْعَجَبُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يَسْتَحْسِنُ عَمَلَ هَذَا الشَّابِّ، فَيَعْظُمُ قَدْرُهُ عِنْدَهُ، فَيَجْزِلُ لَهُ أَجْرُهُ؛ لَكَوْنِهِ لَيْسَ لَهُ خَطِيئَةٌ وَلَا إِصْرَارٌ عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَخَصَّ الشَّابَّ؛ لَكَوْنِهِ مَظَنَّةٌ غَلَبَةُ الشَّهْوَةِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الْبَاعِثِ عَلَى مُتَابَعَةِ الْهَوَى؛ فَإِنَّ مُلَازِمَةَ الْعِبَادَةِ مَعَ ذَلِكَ أَشَدُّ، وَأَدْلُ عَلَى غَلَبَةِ التَّقْوَى. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ فَضْلِ الشَّابِّ الَّذِي تَرَكَ الْمَعَاصِيَ، وَشَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ.

في قوته ونشاطه وشهواته لا يكون له ذنب، ولا يَرْتَكِبُ كبيرة، فليس له ميل إلى الهوى لحسن اعتياده للخير وقوة عزمته في البعد عن الشر في حال الشباب الذي هو مظنة لصد ذلك.

- الراعي الذي يقف بأعلى الجبل أو قطعة منه، يُؤذّن بالصلاة ويصلي، مُعْظِماً لأمر الصلاة بالتدأ؛ فعن عقبه بن عامر رضي الله عنه؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةِ جَبَلٍ يُؤذّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّيُ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انظروا إلى عبدي هو يُؤذّنُ وَيُقيمُ الصلاةَ يَخَافُ مِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ»^{٣٩٧}، فالله عز وجل يعجب لهذا الإنسان الذي هو في رأس

٣٩٧ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٢١٤؛ أخرجه أبو داود (١٢٠٣)، والنسائي (٦٦٦)، وأحمد (١٧٤٤٢) باختلاف يسير. وفي رواية: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ، فِي رَأْسِ شَظِيَّةِ الْجَبَلِ يُؤذّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّيُ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ انظروا إلى عبدي هذا يُؤذّنُ وَيُقيمُ الصلاةَ يَخَافُ مِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ» [حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح النسائي ٦٦٥؛ أخرجه أبو داود (١٢٠٣)، والنسائي (٦٦٦) واللفظ له، وأحمد (١٧٤٤٢)].

الخَوْفُ الْحَقِيقِيُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى - وكذا والرَّجَاءُ الصَّحِيحُ - يَكُونُ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ»، الْعَجَبُ عِنْدَ الْبَشَرِ هُوَ اسْتِعْظَامُ الْأَمْرِ وَإِكْبَارُهُ، وَهُوَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ الْفَعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الثَّابِتَةِ لَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَكِنْ بِالْكِفَايَةِ الَّتِي تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ التَّعَجُّبُ الَّذِي يَخْفَى عَلَى صَاحِبِهِ مَعْرِفَةُ الْأَسْبَابِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عِلْمُ الْأَسْبَابِ، «مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةِ الْجَبَلِ»، أَي: مِنْ الرَّاعِي الَّذِي يَقِفُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ أَوْ قِطْعَةٍ مِنْهُ، وَشَظِيَّةُ الْجَبَلِ: قِطْعَةٌ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ، وَقِيلَ: هِيَ الصَّخْرَةُ الْخَارِجَةُ مِنْهُ، «يُؤذّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّيُ»، أَي: مُعْظِماً لِأَمْرِ الصَّلَاةِ بِالتَّدَاءِ مَعَ خُلُوقِ الْمَكَانِ مِنَ الْبَشَرِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِأَذَانِهِ إِعْلَامُ الْمَلَائِكَةِ وَالْحَجَرِ بِدُخُولِ الْوَقْتِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ صَلَاةً أَيْضًا مَعَ شَهَادَةِ مَا حَوْلَهُ عَلَى تَوْحِيدِهِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَقِيلَ: إِذَا أَدْنُ وَأَقَامَ تُصَلِّيُ الْمَلَائِكَةُ مَعَهُ، وَيَحْصُلُ لَهُ ثَوَابُ الْجَمَاعَةِ، «فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»، أَي: لِلْمَلَائِكَةِ وَلِمَنْ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى: «انظروا إلى عبدي هذا يُؤذّنُ وَيُقيمُ الصلاةَ: يَخَافُ مِنِّي»، أَي: يَفْعَلُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ عَذَابِهِ، وَطَمَعًا فِي رَحْمَتِهِ، «قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي»، أَي: مَحَوْتُ عَنْهُ ذَنْبَهُ وَسَتَرْتُهُ وَلَمْ أُؤَاخِذْهُ بِهِ، «وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ»، أَي: بِمَزِيدِ أَجْرٍ وَفَضْلٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ. {وفي الحديث:

جبل، ومع ذلك إذا جاء وقت الصلاة قام يؤذن وأقام الصلاة، مع أنه يعلم أنه لا أحد يأتيه في هذا المكان، ولكن خوفه من الله وحبه لله سبحانه جعله يؤذن في مكان لا أحد يأتي إليه فيه، أذن وأقام وصلى، فعجبت ملائكته من ذلك، وعجب الله عز وجل لأمره، فإذا عجب الله من مثل هذا أثابه سبحانه وتعالى.

- عجب ربنا سبحانه وتعالى من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزيلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب؛ فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزيلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب" ^{٣٩٨}، وفي رواية بلفظ "ضحك": فعن أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر

إثبات صفة العجب لله عز وجل. وفيه: فضل العبادة في العزلة، فضل رعي الغنم، واعتزال أمور الناس، وهو محمول على أيام الفتن؛ فراراً بدينه من الفتن. وفيه: مشروعية الأذان والإقامة للمنفرد.

٣٩٨ حسنّه الشيخ ابن تيمية، في مجموع الفتاوى ١٣٩/٣.

قوله (أزيلين) الأزل - يسكون الزاي - الشدة. والأزل على وزن كَتِفٍ هُوَ الَّذِي قَدْ أَصَابَهُ الْأَزْلُ، وَاشْتَدَّ بِهِ حَتَّى كَادَ يَقْطُطُ. [زاد المعاد (٣/ ٥٩٣)]، وقوله: (وقرب غيره) أي قرب تغييره الحال. وقال ابن منظور رحمه الله: "الأزل: الصَّيْقُ وَالشَّدَّةُ، والأزل: الحبس. وأزله يأزله أزلاً: حبسه، والأزل: شدة الزمان، يقال: هُم فِي أَزْلٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَأَزْلٍ مِنَ السَّنَةِ، وَأَزَلَّتِ السَّنَةُ: اشْتَدَّتْ وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ آزِلِينَ، أَي فِي شِدَّةٍ" انتهى من "لسان العرب" (١١/ ١٣).

قال ابن رجب رحمه الله: "والمعنى أنه سبحانه يعجب من قنوط عباده عند احتباس القنوط عنهم وقنوطهم ويأسهم من الرحمة، وقد اقترَبَ وَفَتْ فَرَجَهُ وَرَحْمَتَهُ لِعِبَادِهِ، بِإِزَالِ الْغَيْثِ عَلَيْهِمْ، وَتَغْيِيرِهِ لِحَالِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَقَالَ تَعَالَى: فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ - وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ [الروم: ٤٨ - ٤٩] ... [انتهى من "جامع العلوم والحكم" (١/ ٤٩١)].

وقال السندي رحمه الله: "المعنى أنه تعالى يضحك من أن العبد يصير مأیوساً من الخير بأدنى شر وقع عليه، مع قرب تغييره تعالى الحال من شر إلى خير ومن مرض إلى عافية ومن بلاء إلى سُرور وفرحة." [انتهى من "حاشية السندي على سنن ابن ماجه" ١/ ٧٨].

في الحديث إثبات صفة الضحك لله تعالى، وكذا صفة العجب، وهما صفتان ثابتتان لله تعالى على الوجه الذي يليق بذاته وجلاله. قال الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله: "هَذَا الْحَدِيثُ يُثْبِتُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صِفَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ضَحِكُ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ". قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوِيضْحَكُ الرَّبُّ؟ قَالَ: "نعم". قُلْتُ: لِمَ نَعْدَمُ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا^{٣٩٩}، قَالَ العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: ((قوله: "عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ"^{٤٠٠}، وفي رواية: القنوط: أشد اليأس. يعجب الرب عز وجل من دخول اليأس الشديد على قلوب العباد. "وقرب غيرِه": الواو بمعنى (مع)، يعني: مع قرب غيره. و(الغير): اسم جمع غَيْرَةٍ، كطَيْر: اسم جمع طَيْرَةٍ، وهي اسم بمعنى التغيير، وعلى هذا؛ فيكون المعنى: وقرب تغييره. فيعجب الرب عز وجل، كيف نقنط وهو سبحانه وتعالى قريب التغيير، يغير الحال إلى حال أخرى بكلمة واحدة، وهي: كُنْ. فيكون. وقوله: "ينظر إليكم أزلين"؛ أي: ينظر الله إلينا بعينه. "أزلين قنطين": الأزل: الواقع في الشدة. و"قنطين": جمع قانط، والقانط: اليأس من الفرج وزوال الشدة. فذكر النبي صلى الله عليه وسلم حال الإنسان وحال قلبه، حاله أنه واقع في شدة، وقلبه قانط يأس مستبعد للفرج. فيظل

العجب، وَهَذَا الْعَجَبُ الَّذِي وَصَفَ بِهِ الرَّسُولُ رَبَّهُ هُنَا مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ، وَهُوَ مِنْ كَمَالِهِ تَعَالَى، فَإِذَا تَأَخَّرَ الْغَيْثُ عَنِ الْعِبَادِ مَعَ فَقْرِهِمْ وَشِدَّةِ حَاجَتِهِمْ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِمُ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ، وَصَارَ نَظَرُهُمْ قَاصِرًا عَلَى الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ، وَحَسِبُوا أَنْ لَا يَكُونَ وَرَاءَهَا فَرْجٌ مِنَ الْقَرِيبِ الْمُجِيبِ؛ فَيَعْجَبُ اللَّهُ مِنْهُمْ. وَهَذَا مَحَلُّ عَجِيبٍ حَقًّا؛ إِذْ كَيْفَ يَقْنُطُونَ وَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَالْأَسْبَابُ لِحُصُولِهَا قَدْ تَوَفَّرَتْ؟! فَإِنَّ حَاجَةَ الْعِبَادِ وَضُرُورَتَهُمْ مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَتِهِ، وَكَذَا الدُّعَاءُ بِحُصُولِ الْغَيْثِ وَالرَّجَاءُ فِي اللَّهِ مِنْ أَسْبَابِهَا، وَقَدْ جَرَتْ عَادَتُهُ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ أَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ الْيُسْرَ مَعَ الْعُسْرِ، وَأَنَّ الشِّدَّةَ لَا تَدُومُ، فَإِذَا انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ قُوَّةُ التَّجَاوُزِ وَطَمَعُ فِي فَضْلِ اللَّهِ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ وَدَعَا؛ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَحْطُرُّ عَلَى الْبَالِ. .. [انتهى

من "شرح العقيدة الواسطية" (١٦٩-١٧١).]

٣٩٩ حديث حسن: حَسَنُهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ ابْنِ مَاجَه ٧٨/١. وانظر: "يَضْحَكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غَيْرِهِ"؛ ص ٦٤.

٤٠٠ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ"؛ [صَحَّحَهُ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ، فِي تَفْسِيرِ الْفَاتِحَةِ وَالْبَقَرَةِ ٢/٢٦٧].

يضحك": يظل يضحك من هذه الحال العجيبة الغريبة؛ كيف تقنط من رحمة أرحم الراحمين الذي يقول للشيء: كن. فيكون؟. "يعلم أن فرجكم قريب"، أي: زوال شدتكم قريب. {{وفي هذا الحديث عدة صفات: -العجب، لقوله: "عجب ربنا من قنوط عباده"، وقد دلَّ على هذه الصفة القرآن الكريم، قال الله تعالى: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} [الصفات: ١٢]؛ على قراءة ضم التاء. -وفيه أيضاً بيان قدرة الله عزَّ وجلَّ، لقوله: "وقرب غيره"، وأنه عزَّ وجلَّ تام القدرة، إذا أراد؛ غير الحال من حال إلى ضدها في وقت قريب. -وفيه أيضاً إثبات النظر، لقوله: "ينظر إليكم". -وفيه إثبات الضحك، لقوله: "فيظل يضحك". -وكذلك العلم، "يعلم أن فرجكم قريب". -والرحمة؛ لأن الفرج من الله دليل على رحمة الله بعباده. وكل هذه الصفات التي دلَّ عليها الحديث يجب علينا أن نثبتها لله عزَّ وجلَّ حقاً على حقيقتها، ولا نتأول فيها}}))^{٤١}.

- عَجِبَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ رَجُلٍ قَامَ مِنْ فِرَاشِهِ وَلِحَافِهِ إِلَى صَلَاتِهِ.
- عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ: {رَجُلٌ ثَارَ عَنْ وَطَائِهِ وَلِحَافِهِ}، وَرَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَانْهَزَمَ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فِي الْإِنْهَزَامِ، وَمَا لَهُ فِي الرَّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أَهْرَيْقَ دَمُهُ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ ثَارَ عَنْ وَطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ حَبَّتِهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي؛ ثَارَ عَنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنِ حَبَّتِهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقًا مَا عِنْدِي، وَرَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَانْهَزَمَ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فِي الْإِنْهَزَامِ، وَمَا لَهُ فِي الرَّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى هُرَيْقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى - لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي،

٤١ شرح الواسطية العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى؛ ٢/٢٦-٣٠؛ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ.

وَشَفَقًا مَا عِنْدِي حَتَّى هُرِيقَ دَمُهُ"^{٤٠٢}، وفي رواية: "عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلٍ

٤٠٢ حديث حسن أو صحيح؛ أخرجه الشيخ الألباني في تخریج مشكاة المصابيح ١٢٠٧؛ وقال عنه: حسن أو صحيح؛ أخرجه أحمد (٣٩٤٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٩٥/٢)، وابن حبان (٢٥٥٧) باختلاف يسير. وفي رواية: "عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ تَارَ عَنْ وَطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ حِجَّتِهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِمَلَأْتَكِيهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي تَارَ عَنْ فَرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنِ حِجَّتِهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ وَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فِي الْإِنْهَزَامِ وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ فَرَجَعَ حَتَّى هُرِيقَ دَمُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَأْتَكِيهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَجَاءً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقًا مِمَّا عِنْدِي حَتَّى هُرِيقَ دَمُهُ" [حديث صحيح؛ صحَّحه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخریج صحيح ابن حبان ٢٥٥٨].

الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَمَلَّى قَلْبُهُ بِهَا، فَيَخَافُ مِنَ اللَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، فَإِذَا تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَقْصُرْ فِي طَاعَةٍ، وَلَمْ يَفْعَلْ مَعْصِيَةً. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ»، أَي: لِتَوَعُّنِ مِنَ الرِّجَالِ، أَوْ لِصِفَةِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَصِفَةُ الْعَجَبِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْفَعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الثَّابِتَةِ لَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى مَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، دُونَ تَعْطِيلٍ أَوْ تَحْرِيفٍ، وَدُونَ تَمْثِيلٍ أَوْ تَكْيِيفٍ، وَتَعَجُّبُهُ سُبْحَانَهُ هُنَا يَدُلُّ عَلَى الرِّضَا عَنِ الْعَمَلِ مَعَ إِعْطَاءِ الثَّوَابِ عَلَيْهِ، فَالتَّوَعُّ الْأَوَّلُ: «رَجُلٌ تَارَ عَنْ وَطَائِهِ»، أَي: خَرَجَ مِنْ فَرَاشِهِ وَمَكَانِهِ الَّذِي يَنَامُ فِيهِ، «وَلِحَافِهِ» وَهُوَ الثَّوْبُ الَّذِي يُغَطِّي بِهِ النَّائِمُ «مِنْ بَيْنِ حِجَّتِهِ وَأَهْلِهِ» وَهَذَا أَدْعَى أَنْ يَبْقَى الْعَبْدُ فِي مَكَانِ نَوْمِهِ يَسْتَمْتِعُ بِزَوْجَتِهِ وَمَا يُحِبُّهُ، وَلَكِنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ ثُمَّ قَامَ «إِلَى صَلَاتِهِ»؛ لِيُصَلِّيَ تَقَرُّبًا لِلَّهِ، وَالْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ: قِيَامُ اللَّيْلِ، «فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِمَلَأْتَكِيهِ»؛ مُفَاجِئًا وَمُبَاهِيًا بِعَبْدِهِ: «انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، تَارَ عَنْ فَرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنِ حِجَّتِهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ؛ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي» مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ وَالْفَضْلِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ لِلطَّائِعِينَ، «وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي» وَخَوْفًا مِمَّا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعِقَابِ وَالْعَذَابِ لِغَيْرِ الطَّائِعِينَ وَالْغَافِلِينَ. وَالتَّوَعُّ الثَّانِي: «وَرَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ»، أَي: انْكَشَفُوا لِلْعَدُوِّ حَتَّى بَدَتْ الْهَزِيمَةُ مُوشِكَةً، «وَعَلِمَ» هَذَا الْعَبْدُ «مَا عَلَيْهِ فِي الْإِنْهَزَامِ» مِنْ حُرْمَةِ الْفِرَارِ وَمِنْ عِقَابِ اللَّهِ وَالذَّلِّ وَالْعَارِ «وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ» إِلَى الْمَعْرَكَةِ مَعَ الْكَرِّ وَالثَّبَاتِ فِي الْقِتَالِ وَعِظَمِ الثَّوَابِ فِي ذَلِكَ، انْتَصَرَ أَوْ قُتِلَ، «فَرَجَعَ حَتَّى هُرِيقَ دَمُهُ» وَالْمُرَادُ أَنَّهُ كَرَّرَ وَقَاتَلَ بِشَجَاعَةٍ، غَيْرَ مُدِيرٍ، حَتَّى قُتِلَ؛ لِيَفُوزَ بِالشَّهَادَةِ، «فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَأْتَكِيهِ»؛ مُبَاهِيًا بِهِ: «انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَجَاءً فِيمَا عِنْدِي» مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ «وَشَفَقًا مِمَّا عِنْدِي»، أَي: خَوْفًا مِنَ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ «حَتَّى هُرِيقَ دَمُهُ» أُرِيقَ دَمُهُ وَسَالَ حَتَّى قُتِلَ. وَقَدْ اجْتَمَعَ لَهُذَيْنِ الصَّنِفَيْنِ مُعَامَلَةُ اللَّهِ سِرًّا فِيمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ، مَعَ الْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ، وَالْمُجِبُّونَ لِلَّهِ يُحِبُّونَ ذَلِكَ أَيْضًا؛ عَالِمًا مِنْهُمْ بِاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِمْ وَمُشَاهَدَتِهِ لَهُمْ، فَهُمْ يَكْتَفُونَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ، فَكَتَفُوا بِهِ مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ، وَعَامَلُوهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مُعَامَلَةَ الشَّاهِدِ غَيْرِ

غزا في سبيل الله فانهزم يعني أصحابه فعلم ما عليه، فرجع حتى أهریق دمه، فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبةً فيما عندي، وشفقةً مما عندي حتى أهریق دمه" ٤٠٣.

- قال الله تبارك وتعالى: عَجِبَ لِعَبْدِي يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي؛ فعن علي بن ربيعة، قال: كُنْتُ رَدَفَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ { [الزخرف: ١٣ - ١٤]، وقال أبو سعيد مولى بني هاشم: ثُمَّ حَمِدَ اللَّهُ ثَلَاثًا، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ وَكَيْعٍ: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِكَ. قُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ رَدَفًا لِرَسُولِ

الغائب، وهذا مقام الإحسان. وفي الحديث: فَضْلٌ مَنْ بَاعَ نَفْسَهُ لِلَّهِ تَعَالَى. وفيه: فَضْلٌ قِيَامَ اللَّيْلِ وَالتَّوْبَةُ فِيهِ. وفيه: فَضْلُ الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالكَرِّ عَلَى الْأَعْدَاءِ.

٤٠٣ حديث حسن؛ حَسَنُهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ ٢٥٣٦.

الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَمْتَلِئَ قَلْبُهُ بِهَا، فَيَخَافُ مِنَ اللَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، فَإِذَا تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَقْصِرْ فِي طَاعَةٍ، وَلَمْ يَفْعَلْ مَعْصِيَةً. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلٍ»، وَصِفَةُ الْعَجَبِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الثَّابِتَةِ لَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى مَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، دُونَ تَعْطِيلٍ أَوْ تَحْرِيفٍ، وَدُونَ تَمَثِيلٍ أَوْ تَكْيِيفٍ. «غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أَي: حَارَبَ أَعْدَاءَ اللَّهِ، «فَانْهَزَمَ»، أَي: غَلِبَ وَهَرَبَ - يَعْنِي: أَصْحَابَهُ - «فَعَلِمَ» هَذَا الرَّجُلُ، «مَا عَلَيْهِ» مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ حُزْمَةِ الْفِرَارِ، «فَرَجَعَ» إِلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ وَخَدَهُ فَقَاتَلَ، «حَتَّى أَهْرِيقَ»، أَي: أَرِيقَ وَصَبَّ دَمُهُ، «فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى» مُبَاهِيًا بِهِ مَلَائِكَتَهُ: «انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي»، أَي: نَظَرُ تَعْجَبٍ؛ «رَجَعَ» إِلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ بَعْدَ مَا هَرَبَ، «رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي» مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، «وَشَفَقَةً»، أَي: خَوْفًا، «مِمَّا عِنْدِي»، أَي: مِنَ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ، «حَتَّى أَهْرِيقَ دَمَهُ»، أَي: أَرِيقَ دَمَهُ وَصَبَّ حَتَّى قُتِلَ. {وَفِي الْحَدِيثِ: فَضْلٌ مَنْ بَاعَ نَفْسَهُ لِلَّهِ تَعَالَى. وَفِيهِ: أَنَّ خَوْفَ الْعَبْدِ وَرَجَاءَهُ مِنَ اللَّهِ فِيهِ النَّجَاةُ}.

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففعل كالذي رأيته فعلت، ثم ضحك، قلت: يا رسول الله، ما يضحكك؟ قال: قال الله تبارك وتعالى: عجب لعبد يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري.^{٤٤} وفي رواية: شهدت علياً رضي الله عنه وأتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله ثم قال {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} ثم قال الحمد لله - ثلاث مرات - ثم قال الله أكبر - ثلاث مرات - ثم قال سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقيل يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت ثم ضحك فقلت يا رسول الله من أي شيء ضحكت قال إن ربك يعجب من عبده إذا قال اغفر لي ذنوبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري.^{٤٥}

٤٤ حديث حسن لغيره؛ أخرجه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخریج المسند ١٠٥٦؛ وقال عنه: حسن لغيره؛ أخرجه أبو داود ٢٦٠٢، والترمذي ٣٤٤٦، والنسائي «السنن الكبرى» (٨٧٩٩) باختلاف يسير، وأحمد (١٠٥٦) واللفظ له.

٤٥ حديث صحيح؛ صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ٢٦٠٢. كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه في كل شؤونه، حتى إن أحدهم كان يتبعه في حركاته وسكناته، وفي ذلك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتى له بدابة ليركبها، فلما أن «وضع رجله في الركاب»، الركاب: مدخل القدم من سرج الدابة يعينه على امتطائها وركوبها، قال علي: «بسم الله»، أي: مستعيناً بالله على ركوبها، «فلما استوى»، أي: استقر، على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال «دعاء ركوب الدابة: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا»، أي: دَلَّلَ لَنَا تِلْكَ الدَّوَابَّ لُرُكُوبِهَا، «وما كنا له مقرنين»، أي: مطيقين وقاديرين على استعماله لولا تسخير الله عز وجل إياه لنا، «وإنا إلى ربنا لمُنْقَلِبُونَ»، أي: راجعون إليه، ثم حمد الله ثلاثاً، ثم كبر الله ثلاثاً، ويقولها ثلاثاً؛ إشعاراً بعظم جلال الله سبحانه، «ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي»، أي: بما فعلت من ذنوب؛ «فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك» علي رضي الله عنه، فقيل له: «من أي شيء ضحكت؟»، فقال علي رضي الله عنه: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت»، أي: من ركوبه للدابة وحمده لله وتكبيره ودُعائه، «ثم ضحك»، فسأل علي النبي صلى الله عليه وسلم: «يا رسول الله، من أي شيء ضحكت؟» فأجابه النبي

- إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَعْجَبُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْجُمُعِ {مَنْ عِبَادَهُ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهَا، وَلَمَنْ يُصَلِّيَهَا}؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْجُمُعِ" ^{٦٧}، وفي رواية: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَعْجَبُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْجُمُعِ" ^{٧٧}.
- إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ مِنْ مَدَاعِبَةِ الرَّجُلِ زَوْجَتَهُ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ مِنْ مَدَاعِبَةِ الرَّجُلِ زَوْجَتَهُ، وَيَكْتُبُ لَهَا بِذَلِكَ أَجْرًا، وَيَجْعَلُ لَهَا بِذَلِكَ رِزْقًا حَلَالًا" ^{٨٨}.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلًا: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ، إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَغْلُمُ»، أي: الْعَبْدُ، «أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي»، فَاسْتَوْجَبَ ذَلِكَ ضِحْكُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُرُورَهُ؛ لِبُلُوغِ الْعَبْدِ عَجَبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ. {وفي الحديث: بَيَانٌ لِأَهْمِيَّةِ اسْتِغْفَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وفيه: فِيهِ إِثْبَاتُ صِفَةِ الْعَجَبِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ عَجَبٌ يَلِيقُ بِذَاتِهِ وَكَلَالِهِ وَجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَيْسَ كَعَجَبِ الْمَخْلُوقِينَ}.

٤٠٦ حديث حسن؛ حَسَنُهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ ١٨٢٠.

٤٠٧ حديث حسن؛ حَسَنُهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ ٤٠٦.

٤٠٨ حديث ضعيف؛ ضَعْفُهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ ١٦٥٩.